الملخص

يعرض البحث ما ظهر من علوم العربية في منظومة الإمام الشاطبي (حرز **الأماني ووجه التهاني**) في جانب التأصيل للمنهج الذي سار عليه الناظم في عرض القراءات، وجانب تأصيل مذاهب القراء، وجانب بيان وجوه القراءات، وجانب صياغة المسائل العلمية وغيرها، وجانب انتقاء القالب الملائم لاحتواء الصياغة، ليتبين بذلك مدى علاقة القراءات القرآنية بعلوم اللغة العربية، وليقف طلاب علم القراءات والباحثون في الدراسات القرآنية على ما بذله الإمام الشاطبي من جهد عظيم في بيان هذه العلاقة فيقبلوا على تعلم ما لابد لهم من تعلمه منها لفهم المسائل العلمية، وإدراك وجوهها على النحو العميق والنمط الدقيق، وليترسموا رسم الإمام الشاطبي في جودة الصياغة، وحسن انتقاء القوالب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العلاقة بين القراءات القرآنية واللغة العربية علاقة مبنية على وثيق التواصل وعميق التداخل وأنيق التكامل.

وقد أظهر ذلك جلياً علماء القراءات واللغة في تآليفهم بجميل الإلماح وجليل الإفصاح فنثروا في ذلك أنفس الدرر وصوروا فيه أروع الصور.

وكان من تلك الجهود المباركة صنيع الإمام الشاطبي رحمه الله في نظمه حرز الأماني ووجه التهاني الذي يعد أنموذجاً في الإبداع فريداً ومسلكا في الإمتاع وحيداً.

وإبرازا لصنعته السَنِيّة سبرت (**علوم العربية في منظومة الشاطبية**).

سائلاً ربي الكريم الإعانة والقبول إنه خير مسئول وأجود مأمول.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يرجع ذلك لما يلي:

- أنه يبرز مدى العلاقة المتينة بين علم القراءات القرآنية وعلوم اللغة العربية في التأصيل والتعليل.
- أن طلاب علم القراءات بحاجة ماسة لترسيخ مدى هذه العلاقة وآكد ما يرسخ ذلك عرض النماذج الصريحة المقنعة المتعددة من صنيع أئمة القراءات في ذلك.
- أن منظومة الشاطبية من أقوى المؤلفات دلالة على هذه العلاقة لما لمؤلفها من مكانة علمية عالية في القراءات واللغة ولما حوته من ظواهر متعددة متنوعة تؤكد قوة هذه العلاقة وحقها أن تدرس فتُظهر للإشادة وتُنشر للإفادة.

- الرغبة في إثراء مكتبة القراءات بالجديد المفيد حيث إن هذا الموضوع لم يكتب فيه تحت هذا العنوان حسب اطلاعي.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث تمثل صلب البحث وخاتمة وفهارس وتفصيل ذلك ما يلي:

- المقدمة وتشمل أهمية الموضوع وسبب اختياره وخطة البحث ومنهج البحث.
- التمهيد ويتضمن تعريفاً موجزاً بالعربية وعلومها.
- صلب البحث وهو أربعة مباحث:

المبحث الأول: (النحو والصرف والاشتقاق واللغة)

وتحته مطالب:

المطلب الأول: النحو.

المطلب الثاني: الصرف.

المطلب الثالث: الاشتقاق.

المطلب الرابع: اللغة.

المبحث الثاني: (الفصاحة والبلاغة)

وتحته مطالب:

المطلب الأول: فصاحة الأسلوب وتنوعه.

المطلب الثاني: علم البيان.

المطلب الثالث: علم المعاني.

المطلب الرابع: علم البديع.

المبحث الثالث: (الشعر وأغراضه)

وتحته مطالب:

المطلب الأول: العروض والقافية.

المطلب الثاني: الشعر قرضاً.

المطلب الثالث: الشعر استشهادا.

المبحث الرابع:(الخط والإنشاء والمحاضرة)

الخاتمة وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس.

منهج البحث:

- راعيت في تسمية المباحث والمطالب وترتيبها ما رأيته الأنسب لحال منظومة الشاطبية.
- أذكر في كل مطلب ما يبينه من الأمثلة الوافية بالغرض.
- أراعي في عزو أبيات الشاطبية ذكر رقمها والإحالة إلى شروحها.
- أوثق سائر المعلومات من مصادرها الأصيلة.

التمهيد

العربية نسبة للعرب، وهي علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب. وللعربية اثنا عشر علماً هي:

١) علم اللغة وهو العلم بألفاظ العربية ومعانيها الدالة عليها.

٢) علم الصرف وهو العلم بأحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب ولا بناء.

٣) علم الاشتقاق وهو العلم بأصول الألفاظ وفروعها.

٤) علم النحو وهو العلم بأحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءاً.

٥) علم البيان وهو العلم بتوضيح الكلام بطرائق مختلفة.

٦) علم المعاني وهو العلم بمطابقة الكلام لمقتضى الحال. ويلحق بهما علم البديع الذي يكون به تحسين الكلام.

٧) علم الإنشاء وهو العلم بصياغة الكلام نثراً .

٨) علم المحاضرات وهو العلم بما يناسب أن يُخاطَب المتلقون به في حالة ما من قصة ونحوها.

٩) علم الشعر وهو العلم بكيفية إنشاء الكلام الموزون المقفى.

١٠) علم العروض وهو العلم بصحيح الشعر ومكسوره.

١١) علم القافية وهو العلم الذي يعرف به سلامة الشعر من العيوب.

١٢) علم الخط وهو العلم بالحروف وكيفيات تركيبها [(١)].

وقد حوت منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله المسماة بـ(حرز الأماني ووجه التهاني) جملة من علوم العربية في مناحٍ مختلفة وسأعرضها مفصلة في هذا البحث بعون الله تعالى وتوفيقه.

---

(١) انظر: الصحاح في اللغة والعلوم للجوهري ص٩٤ (عرب)وحاشية السجاعي على قطر الندى ص٧، وأسس اللغة العربية لمحمود ياقوت ص ١٦-١٧.

المبحث الأول

(النحو والصرف والاشتقاق واللغة)

وتحته مطالب:

المطلب الأول: النحو

ظهر علم النحو في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله تأصيلاً وتعليلاً.

فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله:(٦١-٦٢):

وآخيت بين النون واليا وفتحهم وكسر وبين النصب والخفض منزلا
وحيث أقول الضم والرفع ساكتا فغيرهم بالفتح والنصب أقبلا

حيث آخى بين الفتح والكسر وبين النصب والخفض -أي جعلهما ضدين- كما جعل الفتح ضدا للضم و النصب ضدا للرفع ولا عكس وهي ما يعرض لأواخر الكلم وما يلحق به -كالبناء للفاعل والبناء للمفعول-وهذا هو أساس علم النحو وإنما جعل هذا ونحوه أصلا من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات القرآنية مرد اختلافها إلى النحو.

ومن ذلك قوله (٥٨٧):

وحمزة والأرحام بالخفض جملا .....

حيث ذكر قراءة الخفض في لفظ ﴿وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء:١] لحمزة فيكون للباقين القراءة بالنصب. ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وقوله (٧٠١):

ومِيم ابن أم اكسر معا كفؤ صحبة .....

حيث ذكر قراءة كسر الميم في ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ [الأعراف:١٥٠] و﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ [طه:٩٤]

لابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة فتكون قراءة الباقين بالفتح ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وقوله (١٠١٢):

فـأطلع ارفـع غـير حفـص..... .....

حيث ذكر قراءة الرفع في ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر:٣٧] لغير حفص فتكون قراءة حفص بالنصب ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وقوله (١١١٧):

وتـا تَـرون اضـمم في الاولى كـما رسـا .....

حيث ذكر قراءة ضم التاء في ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ [التكاثر:٦] -وهي الكلمة الأولى في السورة- لابن عامر والكسائي فتكون قراءة الباقين بالفتح ولكل من القراءتين وجهه النحوي.

وظهر علم النحو في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (٢١٦-٢١٨):

ويبـدل للسـوسي كـل مسـكن من الهمز مدا غير مجزوم اهـملا

تسؤ ونشأ ست وعشـر يشأ ومع يهيـئ وننسـأها يُنبـأ تكـملا

وهيـئ وأنبئـهم ونبـئ بـأربع وأرجـئ معـا واقـرأ ثلاثـا فحصـلا

حيث أصَّل بعض ما استثني لسوسي من حكم إبدال الهمز الساكن على أصل نحوي وهو ما كان سكونه للجزم أو للبناء ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بحال الفعل المهموز إعرابا وبناءا .

وكما في قوله (٣٧٠-٣٧١) في سياق تأصيل مسائل الروم والإشمام:

وفعلهـما في الضـم والرفـع وارد ورومـك عنـد الكسـر والجـر وصـلا

ولم يـره في الفـتح والنصـب قـارئ وعنـد إمـام النحـو في الكـل أعمـلا

حيث أصَّل مسألة الروم والإشمام العامة على أصل نحوي بربطها بحركات البناء وحركات الإعراب ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بحال أواخر الكلم وهي قضية نحوية خالصة.

وظهر علم النحو في تعليل القراءات كما في قوله (٤٧٨):

وفي النحل مع يس بالعطف نصبه كفى راويا وانقاد معناه يَعْمُلا

حيث علل قراءة ابن عامر والكسائي بالنصب في لفظ ﴿فَيَكُونُ﴾ في ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠] وفي ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] تعليلا نحويا بأن الفعل ﴿فَيَكُونُ﴾ منصوب بالعطف على ﴿أَن نَّقُولَ﴾ في الموضع الأول وبالعطف على ﴿أَن يَقُولَ﴾ في الموضع الثاني.

وكما في قوله (٥٨٣-٥٨٤):

....لا تحسبن الغيب كيف سما اعتلا

وحقا بضم البا فلا يحسِبَنهم وغيب وفيه العطف أو جاء مبدلا

حيث علل قراءة ابن كثير و أبي عمرو بياء الغيب وكسر السين وضم الباء في ﴿تَحْسَبَنَّهُم﴾ في ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [آل عمران:١٨٨] تعليلا نحويا بأن الفعل إما أن يكون معطوفا على الفعل قبله على تقدير-لا يحسِبن الفارحون أنفسهم بمفازة من العذاب فلا يحسِبُنهم كذلك-وإما أن يكون مبدلا منه على تقدير -لا يحسِبن الفارحون فلا يحسِبُنهم بمفازة من العذاب- على تقدير حذف مفعولي الفعل الأول.[1] وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم النحو تأصيلا وتعليلا.

وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم النحو

(١) انظر: إبراز المعاني لأبي شامة ٢/ ص ١٩٧-١٩٨و٣/ ص٥٣-٥٥وكنز المعاني لشعلة ص ٤١٤-٤١٥وص٥٠١-٥٠٢ وص ٥٨٦-٥٨٨، وإرشاد المريد للضباع ص٢٠ وص ١٥٤وص ١٧٨.

فيما يتعلق بالقراءات -على الأقل- حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.

المطلب الثاني: الصرف

ظهر علم الصرف في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله تأصيلاً وتعليلاً.

فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله (٥٧-٥٨):

وما كان ذا ضد فإني بضده غني فزاحم بالذكاء لتفضلا

كمد وإثبات وفتح ومدغم وهمز ونقل واختلاس تحصلا

حيث ذكر في منهجه في الأضداد الفتح وضده الإمالة والمدغم وضده المظهر والهمز وضد ترك الهمز والعكس بالعكس وكلها تتعلق بعلم الصرف. وإنما جعل هذا ونحوه أصلا من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات مرد اختلافها إلى الصرف.

ومن ذلك قوله (٣٣٩):

وفي هاءِ تأنيثِ الوقوفِ وقبلَها ممال الكسائي غير عشر ليعدلا

حيث ذكر قراءة الكسائي بإمالة هاء التأنيث فتكون قراءة الباقين بالفتح فيها ولكل من القراءتين وجهه الصرفي.

وقوله (٦٠٢):

....إدغام بيَّت في حلا

حيث ذكر قراءة حمزة وأبي عمرو بإدغام التاء في الطاء في ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء:٨١] فتكون قراءة الباقين بالإظهار ولكل من القراءتين وجهه الصرفي.

وقوله (١١١٦):

.....وحرفي الـ بَريَّة فاهمز آهلا متأهلا

حيث ذكر قراءة نافع وابن ذكوان بالهمز في لفظ ﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة-:٦،٧] فتكون

قراءة الباقين بغير همز ولكل من القراءتين وجهه الصرفي.

وظهر علم الصرف في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (٢١٤):

إذا سكنت فاءً من الفعل همزة فورش يُريها حرف مد مبدلا

حيث أصَّل مذهب ورش في إبدال الهمز الساكن على أصل صرفي وهو وقوع هذه الهمزة فاءا للكلمة ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بالوزن الصرفي للكلمات المهموزة بهمزة ساكنة.

وكما في قوله (٢٩١-٢٩٢):

وحمزة منهم والكسائي بعده أمالا ذوات الياء حيث تأصلا

وتثنية الأسماء تكشفها وإن رَددتَ إليك الفعل صادفت منهلا

حيث أصَّل مذهب حمزة والكسائي في إمالة نوع من الألفات على أصل صرفي وهو انقلاب هذه الألف عن الياء فمتى ما كانت منقلبة عن ياء أميلت ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بأصل الألف في الأسماء والأفعال.

وظهر علم الصرف في تعليل القراءات كما في قوله (٣٣١):

إناه له شاف وقل أو كلاهما شفا ولكسر أو لياء تميلا

حيث علل الإمالة في ألف ﴿إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب:٥٣] لهشام وحمزة والكسائي وفي ألف ﴿كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء:٢٣] لحمزة والكسائي تعليلا صرفيا بكونهما مسبوقين بكسر أو لكونهما منقلبتين عن ياء.

وكما في قوله (٥٣٨):

ويحسب كسر السين مستقبلا سما رضاه ولم يلزم قياسا مؤصلا

حيث علل قراءة كسر السين لنافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي وقراءة فتح السين للباقين في لفظ ﴿يَحْسَبُ﴾ تعليلا صرفيا فعلل قراءة فتح السين بالقياس

وقراءة كسر السين بالسماع[1].

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم الصرف تأصيلا وتعليلا.

وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم الصرف فيما يتعلق بالقراءات -على الأقل- حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.

المطلب الثالث: الاشتقاق

ظهر علم الاشتقاق في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله تأصيلاً وتعليلاً.

فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله (٥٧-٥٩):

وما كان ذا ضد فإني بضده غني فزاحم بالذكاء لتفضلا

إلى أن قال:

وجزم وتذكير وغيب وخفة وجمع وتنوين وتحريك اعملا

حيث ذكر في منهجه في الأضداد التذكير وضده التأنيث والجمع وضده الإفراد والعكس بالعكس ومعلوم أن التذكير هو الأصل والتأنيث فرع كما أن الإفراد هو الأصل والجمع فرع وإنما جعل هذا ونحوه أصلا من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات مرد اختلافها إلى الاشتقاق. ومن ذلك قوله (٥٥٤):

وذكر فناداه وأضجعه شاهدا .....

حيث ذكر قراءة حمزة والكسائي بالتذكير في ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [آل عمران:٣٩] فتكون قراءة الباقين بالتأنيث، والتذكير أصل في الأفعال والتأنيث فرع.

(١) انظر: كنز المعاني لشعلة ص٢٥٣وص ٣٥٦-٣٥٧،وكنز المعاني للجعبري ص ٢٧٦ وما بعدها، والجوهر النضيد لابن الجندي ص ٢٨ وما بعدها، وص ٤٦٨ وما بعدها.

وقوله (٩٢٣):

..... ويـأمر شـاف واجمعـوا سرجـا ولا

حيث ذكر قراءة حمزة والكسائي بالجمع في ﴿سِرَٰجًا﴾ [الفرقان:٦١] فتكون قراءة الباقين بالإفراد ،والإفراد أصل والجمع فرع.

وظهر علم الاشتقاق في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (١٧٤):

.....وبعضـــهم يؤاخـذكم الان مسـتفها تـلا

حيث أصَّل بعض المستثنيات لورش من مد البدل على أصل اشتقاقي وهو كل ما اشتق من لفظ (يؤاخذ) نحو ﴿تُؤَاخِذۡنَآ﴾ [البقرة:٢٨٦] وليس المراد لفظ (يؤاخذكم) بعينه ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بالألفاظ المشتقة من لفظ (يؤاخذ).

وقوله (٢١٤-٢١٥):

إذا سـكنت فـاءً مـن الفعـل همـزة فـورش يريهـا حـرف مـد مبـدلا

سـوى جملـة الإيـواء..... .....

حيث أصَّل بعض ما استثنى لورش من حكم إبدال الهمزة الساكنة الواقعة فاءا للكلمة على أصل اشتقاقي وهو كل ما اشتق من لفظ الإيواء نحو ﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩-٤١] فلا إبدال فيه لورش ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه العلم بالألفاظ المشتقة من الإيواء.

وظهر علم الاشتقاق في تعليل القراءات (٢٢٠):

ومؤصـدة أوصـدت يشـبه كلـه تخـيره أهـل الأداء معلـلا

حيث علل استثناء السوسي للفظ ﴿مُّؤۡصَدَةٌ﴾ [البلد:٢٠،الهمزة:٨] من حكم إبدال الهمزة تعليلا اشتقاقيا وهو أن هذا اللفظ في مذهب أبي عمرو مشتق من آصدت

وأصله أأصدت فلو أبدل لالتبس بأنه مشتق من أوصدت. وكما في قوله (٦٠٤):

وفيهـا وتحـت الفـتح قـل فتثبتـوا مـن الثبـت والغـير البيـان تبـدلا

حيث علل القراءتين في ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء:٩٤،الحجرات:٦] -قراءة الجمهور بالتاء فالباء فالياء فالنون وقراءة حمزة والكسائي بالتاء فالثاء فالباء فالتاء -تعليلا اشتقاقيا بأن قراءة حمزة و الكسائي مشتقة من الثبت وقراءة الجمهور مشتقة من البيان[1].

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم الاشتقاق تأصيلا وتعليلا.

وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم الاشتقاق فيما يتعلق بالقراءات -على الأقل- حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.

المطلب الرابع : اللغة

ظهر علم اللغة في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله تأصيلاً وتعليلاً.

فظهر في تأصيل منهجه الذي سار عليه في عرض القراءات كما في قوله (٥٧-٥٨):

ومـا كـان ذا ضـد فـإني بضـده غنـي فـزاحم بالـذكاء لتفضـلا

كمـد وإثبـات وفـتح ومـدغم وهمـز ونقـل واخـتلاس تحصـلا

حيث ذكر في منهجه في الأضداد المد وضده القصر والإثبات وضده الحذف وتغير الألفاظ أو المعاني في ذلك ظاهر. وإنما جعل هذا ونحوه أصلا من أصول منهجه في عرض القراءات لأن جملة من القراءات مرد اختلافها إلى اللغة.

ومن ذلك قوله(١٠٨):

ومالـك يـوم الـدين راويـه نـاصر .....

(١) انظر: فتح الوصيد للسخاوي ص ١٧٠ وص ٣١٤-٣١٥، وإبراز المعاني ١/ ص ١٧٩ وما بعدها ، وص٣٨٨-٣٨٩، و٢/ ص ٧٧-٧٨،وكنز المعاني لشعلة ص٢٥٩-٢٦٠.

حيث ذكر قراءة الكسائي وعاصم بالمد في ﴿مَلِكِ﴾ [الفاتحة:٤] فتكون قراءة الباقين بالقصر ولكل قراءة معناها اللغوي.

وقوله (١٠١٩):

بـما كسـبتْ لا فـاءَ عـم..... .....

حيث ذكر قراءة نافع وابن عامر بحذف الفاء في ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ﴾ [الشورى : ٣٠] على عدم تضمين معنى الشرط فتكون قراءة الباقين بإثباتها بتضمين معنى الشرط.

وظهر علم اللغة في تأصيل مسائل القراءات كما في قوله (٣٤٥):

وفخمها في الأعجمي..... .....

حيث أصَّل مذهب ورش في استثناء بعض الألفاظ من حكم ترقيق الراء على أصل لغوي وهو ما كان اسما غير عربي نحو ﴿عِمْرَانَ﴾ ويلزم لفهم هذا المذهب حق فهمه معرفة الأسماء الأعجمية.

وقوله (٥٥١):

..... ومـا لم يمـت للكـل جـاء مـثقلا

حيث أصَّل حكم ما اتفق القراء على تشديد يائه من لفظ (ميت)على أصل لغوي وهو مالم يتحقق فيه معنى الموت نحو ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[إبراهيم:١٧] ويلزم لفهم هذا الحكم حق فهمه معرفة مالم يتحقق فيه هذا المعنى.

وظهر علم اللغة في تعليل القراءات كما في قوله (٢١٩):

..... ورِئيـا بـترك الهمـز يشـبه الامـتلا

حيث علل عدم إبدال الهمز في لفظ ﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم:٧٤] للسوسي تعليلا لغويا بأنه يلتبس معناه حال الإبدال بمعنى الامتلاء شُربا.

وقوله (٩٣٤-٩٣٥):

ألا يســـــجدوا راو..... .....

أراد ألا يـا هـؤلاء اسـجدوا..... .....

حيث علل قراءة الكسائي في ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ [النمل:٢٥] بتخفيف اللام تعليلا لغويا فذكر أن ﴿أَلَّا﴾ مخفف اللام حرف تنبيه وأن الياء في ﴿يَسْجُدُوا﴾ ياء نداء والتقدير(ألا يا هؤلاء اسجدوا)[1].

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم اللغة تأصيلا وتعليلا.

وكأنه ينبه بذلك إلى أن طالب علم القراءات ينبغي أن يكون ملما بعلم اللغة فيما يتعلق بالقراءات -على الأقل- حتى يعلم أحكامها ويدرك عللها.

(١) انظر: إبراز المعاني ٢/ ص١٦٣و٤/ ص٥١ وكنز المعاني لشعلةص٣٨٨وص٥٥٩والعقد النضيد١/ ١٩٣ وما بعدها و٢/ ص٨٥٤ومابعدها.

المبحث الثاني

(الفصاحة والبلاغة)

وتحته مطالب:

المطلب الأول: فصاحة الأسلوب وتنوعه

عند الحديث عن علم البيان وعلم المعاني وعلم البديع- علوم البلاغة المعروفة-

لابد من الحديث عن الفصاحة وتنوع أساليبها تمهيدا لذلك.

وفصاحة الكلام سلامة مفرداته من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي وسلامة تراكيبه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد.

وقد حرص الإمام الشاطبي رحمه الله على أن تكون منظومته على درجة عالية من الفصاحة سالمة من ذلك كله فجاءت أبياتها سهلة الألفاظ واضحة المعاني محكمة السبك وعن ذلك يقول رحمه الله في مقدمتها (٦٧):

أهلت فلبتها المعاني لبابها وصغت بها ما ساغ عذبا مسلسلا

وصدق الإمام الجعبري رحمه الله حين قال في مدح منظومة الشاطبية[1]:

جزى الله المصنف كل خير بما أسداه في وجه التهاني

بألفاظ حكت درا نضيدا وقد نادت فلبتها المعاني

ويقول الإمام الشاطبي -رحمه الله- في خاتمة منظومته (١١٦٢-١١٦٣):

وقد كسيت منها المعاني عناية كما عريت عن كل عوراء مِفْصَلا

وتمت بحمد الله في الخلق سهلة منزهة عن منطق الهُجْر مِقْوَلا

(١) انظر: كنز المعاني للجعبري ص٨٥.

قال الإمام السخاوي رحمه الله معلقا على ذلك: «وغيره ينظم أرجوزة فيضطره النظم إلى أن يأتي في قوافيها ومقاطعها وأجزائها بما تمجه الأسماع» (١)

وقد تعددت الأساليب الفصيحة في منظومته فظهر فيها الأسلوب المسمى اصطلاحا بالأسلوب العلمي وهو الذي يخاطب العقل بالمنطق السليم والحجج المقنعة كما في قوله (١٢٩-١٣٠):

وواو هو المضمومِ هاءً كهو ومن فأدغم ومن يظهر فبالمد علا

ويأتي يوم أدغموه ونحوه ولا فرق ينجي من على المدعولا

حيث قرر حكم إدغام الواو في لفظ (هو) مضموم الهاء في الواو حيث وقعت بعدها إدغام متماثلين للسوسي تقريرا علميا محكما.

وقوله (٣٥٣-٣٥٤):

وما بعده كسر أواليا فمالهم بترقيقه نص وثيق فيمثلا

وما لقياس في القراءة مدخل فدونك ما فيه الرضا متكفلا

حيث قرر حكم تفخيم الراء التي بعدها كسرة أو ياء تقريرا علميا محكما.

وظهر فيها الأسلوب المسمى اصطلاحا بالأسلوب الأدبي وهو الذي يخاطب الحس بعذب المقال ورونق الجمال كما في قوله (٥٠٢):

ونقل قران والقران دواؤنا .....

حيث صاغ كلامه بأسلوب أدبي ظاهره أن نقل القرآن من جيل إلى جيل دواء للنفوس ،وباطنه بيان حكم نقل الهمزة في لفظ (قرءان)و(القرءان) لابن كثير.

وقوله (٩٠٣):

..... صلاتهم شاف.....

(١) انظر: فتح الوصيد للسخاوي ٤/ ص١٣٦٤.

حيث صاغ كلامه بأسلوب أدبي ظاهره أن الصلاة شفاء للمصلين، وباطنه أن لفظ ﴿صَلَوَٰتِهِمْ﴾ [المؤمنون:٩] يقرأه بالإفراد حمزة والكسائي.

وظهر فيها الأسلوب المسمى اصطلاحا بالأسلوب الخطابي وهو الذي يخاطب الهمم بما يذكي عزائمها كما في قوله (١٥٣):

وفي مـــن يشـــاء بـــا يعـــذب حيـــثما أتـــى مـــدغم فـــادر الأصـــول لتَأصُـــلا

حيث خاطب طالب العلم بما يشحذ همته قائلا له تعلمْ أصول المسائل لتكون أصيلا في الفضل فإنما يشرف الناس بالعلم.

وقوله (٣١٥):

ولكـــن رؤوس الآي قـــد قـــل فتحهـــا لـــه غـــير مـــا هـــا فيـــه فاحضـــر مكمَّـــلا

حيث خاطب طالب العلم بما يوقظ فطنته قائلا له كن حين عرض المسائل العلمية كامل الحضور لتكسب الكمال حفظا وفهما[1]. وغير ذلك مما ظهر في منظومته من الأساليب الفصيحة .

وكأنه ينبه بذلك على أن صياغة المسائل العلمية المتعلقة بالقرآن الكريم –أفصح الكلام وأعلاه– يجب أن تكون على أتم ما ينبغي من الفصاحة وأرقى ما يحسن من الأساليب.

المطلب الثاني: علم البيان

ظهر علم البيان الذي تؤدى به المعاني بأساليب متعددة في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله في جوانب عديدة فظهر في صياغة المسائل العلمية ومن ذلك قوله (١٥٦):

(١) انظر: كنز المعاني لشعلة ص١٨٣-١٨٤وص٣٥٩-٣٦٠، ومبرزالمعاني للعمادي ص٢١٧ وص٣٨٠ وشرح السيوطي ص١٦٩وص٥١٧، وانظر الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص٧٢ وجواهر البلاغة للهاشمي ص٤٤-٤٥.

وإدغـام حـرف قبلـه صـح سـاكن عسـير وبالإخفـاء طبَّـق مَفصِـلا

حيث عبر عن معنى إصابة الحق في وجه الإخفاء فيما كان قبله ساكن صحيح من المتماثلين أو المتقاربين بقوله (طبق مفصلا) ومعنى (طبق مفصلا) -في الأصل- لإصابة السيف المفصل لكنه استعار هذا التركيب فاستعمله في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة وهذا ما يعرف ب(الاستعارة التمثيلية) وهي ضرب من ضروب علم البيان.

وقوله (٩٩٣):

وصـفا وزجـرا ذكـرا ادغـم حمـزة وذروا بـلا روم بهـا التـا فـثقلا

حيث أطلق عبارة (بلا روم) في إدغام حمزة للتاء في هذه الألفاظ وفيها يظهر أسلوب (الكناية)وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

فقد أطلق الناظم عبارة (بلا روم)مكنياً بها عن عدم جواز القصر والتوسط في إدغام حمزة للتاء في هذه الألفاظ الذي هو لازم معنى عبارة (بلا روم) إذ عدم جواز الروم يدل على أن السكون هنا في حال الإدغام من قبيل اللازم لا العارض. والكناية ضرب من ضروب علم البيان. مع إرادته لمعنى عبارة(بلا روم) فليس لحمزة روم في هذا الإدغام.

وظهر في سياق التعليل إما باستعماله لبيان علل القراءات كما في قوله (٧٩٨-٧٩٩):

....مصـرخيَّ اكسـر لحمـزة مجمـلا

كها وصل..... .....

حيث قرَّب علة قراءة حمزة بكسر الياء في ﴿بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم:٢٢] بتشبيهها بهاء الضمير في وصلها بياء؛ أي نزلت الياء في (مصرخيِّ) منزلة هاء الضمير

الموصولة بحرف المد فوصلت بالياء ثم حذفت الصلة فيهاكما تحذف من الهاء وبقيت الكسرة دالة عليها. والتشبيه ضرب من ضروب علم البيان.

أو بالإشارة إليه وجهاً بلاغياً لقراءة ما كما في قوله (٩٢٩):

وفي نَـزَّل التخفيـف والـروحَ والأميـــ ـــنَ رفعهـما علـو سـما وتـبجلا

حيث أشار إلى الوجه البلاغي في قراءة حفص ونافع وابن كثير وأبي عمرو في ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣] التي فيها إسناد فعل النزول بالقرآن الكريم إلى جبريل عليه السلام ، وجبريل عليه السلام مُنَزَّل حقيقة من الله تعالى كما دلت على ذلك قراءة الباقين بتشديد الزاي في ﴿نَزَلَ﴾ ونصب الحاء والنون في ﴿ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ فهو مُنَزِّل على الحقيقة لا نازل وإسناد فعل النزول إليه إسناد مجازي وهو ما يعرف بـ (المجاز العقلي) وفي هذا الإسناد الكريم من العلو والسمو والتبجيل لجبريل عليه السلام ما فيه وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الوجه البلاغي بقوله (علو سما وتبجلا).

والمجاز العقلي ضرب من ضروب علم البيان. وظهر في غير سياق المسائل العلمية وتعليلها ومن ذلك قوله في المقدمة (٢١):

فمـنهم بـدور سـبعة قـد توسـطت سـماء العُـلى والعـدل زُهـرا وكُمَّـلا

حيث شبه القراء السبعة -في شهرتهم وعلو مكانتهم- بالبدور وحذف المشبه وصرح بالمشبه به وهذا الصنيع يعرف بـ (الاستعارة التصريحية) كما أنه جاء بما يلائم المشبه به وهو قوله (قد توسطت) وهذا يعرف بـ (ترشيح الاستعارة) أو (الاستعارة المرشَّحة) والاستعارة ضرب من ضروب علم البيان.

وقوله في الخاتمة (١١٢١):

رِوَى القلـبِ ذكـرُ الله فاستسـق مقـبلا ولا تَعْـدُ روض الـذاكرين فـتُمْحِلا

حيث شبه ذكر الله تعالى -في إحيائه أطيب حياة- بالغيث ولم يصرح بالمشبه به

بل جاء بشيء من لوازمه وهو الإرواء وهذا يعرف بـ(الاستعارة المكنية) وهي ضرب من ضروب علم البيان.[١]

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم البيان، وكأنه ينبه بذلك إلى ما ينبغي صنيعه من إعمال علم البيان لتوضيح الخطاب عموما وتقريب المسائل العلمية وعللها خصوصا ،وكأنه ينبه طلاب علم القراءات كذلك إلى ضرورة تعلم علم البيان لتنجلي لهم أوجه بلاغة القراءات القرآنية.

المطلب الثالث: علم المعاني

ظهر علم المعاني الذي يراعى به موافقة الكلام لمقتضى الحال في منظومة الإمام الشاطبي في جوانب عديدة فظهر في صياغة المسائل العلمية ومن ذلك قوله (١٥٨):

ولم يصلوا ها مضمر قبل ساكن وما قبله التحريك للكل وُصِّلا

حيث ذكر في هذا البيت الأحوال الثلاثة المتفق عليها لهاء الضمير بأسلوب الإيجاز الملائم لمقام النظم؛ فقوله (ولم يصلوا ها مضمر قبل ساكن)يشمل حالتين وهي ما وقع بين ساكنين نحو ﴿مِّنْهُ ٱسْمُهُ﴾ [آل عمران:٤٥] وما وقع بعد متحرك وقبل ساكن نحو﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ [التغابن:١]، وقوله (وما قبله التحريك..) مقيد بقوله: (ولم يصلوا ها مضمر قبل ساكن) فأحسن في إيجاز المقال حيث يحسن ذلك غاية الإحسان.

والإيجاز ضرب من ضروب علم المعاني. وقوله (٣١١):

وما بعد راء شاع حكما..... .....

(١) انظر: المفيد للورقي ص٣٠-٣١ وص ١١١ وإبراز المعاني ٣/ص٢٩٣ والوافي للقاضي ص٥٧٥ وص٦٣٤ وانظر: مفتاح العلوم للسكاكي ص ٤٩٤ وص ٥١٢ وعلم المعاني البيان البديع لعبد العزيز عتيق ص٣٣٧وص ٣٧٠ وص ٣٨٦.

حيث ذكر أن إمالة الألفات الواقعة بعد راء لحمزة والكسائي المرموز لهما بالشين من (شاع) ولأبي عمرو المرموز له بالحاء من (حكما).

و قد تقدم ذكر حمزة والكسائي في أول الباب وإنما كرر ذكرهما لئلا يُتوهم أن هذا الحكم خاص بأبي عمرو. فأحسن في التكرار في هذا المقام غاية الإحسان .

والتكرار ضرب من ضروب الإطناب ، والإطناب ضرب من ضروب علم المعاني.

وظهر في سياق التعليل إما باستعماله لبيان علل القراءات كما في قوله (١٧٨):

وفي نحو طه القصر إذ ليس ساكن وما في ألفْ من حرف مد فيُمْطَلا

حيث علل القصر بمقدار حركتين فيما كان على حرفين من الحروف المقطعة بانتفاء الساكن، وعلل عدم المد في حرف (ألف) من الحروف المقطعة بعدم وجود حرف المد، وكلاهما أسلوب نفي يناسب المقام فانتفاء الزيادة عن حركتين وانتفاء المد مطلقا لانتفاء سببيهما.

و النفي ضرب من ضروب الخبر، والخبر ضرب من ضروب علم المعاني.

أو بالإشارة إليه وجها بلاغيا لقراءة ما كما في قوله (٦٨٥):

.....وما الواوَ دعْ كفى .....

حيث أشار إلى وجه بلاغي في قراءة ابن عامر بحذف الواو في ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] ؛إذ الجملة التي بعدها تأكيد للجملة التي قبلها وهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ فهما جملتان متصلتان بينهما ما يعرف عند البلاغيين بـ(كمال الاتصال) وهو من مواضع الفصل-أي عدم ذكر الواو- بين الجمل ،فهما مكتفيتان باتصالهما عن الوصل بالواو. وقد أشار الإمام الشاطبي إلى ذلك بقوله (كفى) أي كفى كمال الاتصال في هذا المقام عن الوصل بالواو.

والفصل ضرب من ضروب علم المعاني.

وظهر في غير سياق المسائل العلمية وتعليلها ومن ذلك قوله في المقدمة (٧١-٧٢):

وناديت اللَّهم يا خير سامع أعذني من التسميع قولا ومَفْعَلا

إليك يدي منك الأيادي تمدها أجرني فلا أجري بجور فأُخْطَلا

حيث نادى ربه الكريم الرحيم طالبا منه التوفيق للإخلاص الذي هو سبب الفلاح كله وذلك في مقدمة النظم حيث يجمل طلب ذلك.

والطلب ضرب من ضروب الإنشاء، والإنشاء ضرب من ضروب علم المعاني.

وقوله في الخاتمة (١١٦٥):

وليس لها إلا ذنوب وليها فيا طيب الأنفاس أحسن تأولا

حيث قصر ما قد يقع في منظومته من عيب على ذنوب ناظمها وذلك عند ختام النظم حيث يحسن مثل هذا التواضع الجميل.

والقصر ضرب من ضروب علم المعاني.[1]

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم المعاني، وكأنه ينبه بذلك إلى ما ينبغي صنيعه من إعمال أساليب علم المعاني حيث يحسن إعمالها لتقع المعاني موقعها المؤثر في نفوس المتلقين في عموم الخطاب وخصوص عرض المسائل العلمية وعللها. وكأنه ينبه طلاب علم القراءات كذلك إلى ضرورة تعلم علم المعاني لتنجلي لهم أوجه بلاغة القراءات القرآنية.

المطلب الرابع: علم البديع

ظهر علم البديع الذي يعنى بتزيين الألفاظ والمعاني بألوان من الجمال في منظومة

(١) انظر: إبراز المعاني١/ ص٣٣٨و٣/ ص١٦٩،وكتر المعاني لشعلة ص ٨٩-٩٢، وص١٩٠-١٩١، وتقريب المعاني لسيد لاشين وخالد الحافظ ص٩٧ وص٨٢٨، وانظر: دلائل الإعجاز للجرجاني ص٢٢٧ ومابعدها وص٣٢٨،وشرح عقود الجمان للسيوطي ص١٢٢، وص ١٤٥، وص١٦٨.

الإمام الشاطبي في جوانب عديدة ؛ فظهر في صياغة المسائل العلمية ومن ذلك ما ظهر في منظومته من رموز للقراء والرواة فيورد ألفاظها مريدا بها معنيين ؛ معناها الظاهر ومعنى نسبة القراءة للقارئ أو الراوي ،وهذا ضرب من ضروب ما يعرف بالاستخدام الذي فيه استعمال اللفظ لمعنيين كلاهما مراد ومنه قوله (١٠٠):

وبسمل بين السورتين بسنة رجال نموها دريـة وتحملا

حيث بين أن رجالا بسملوا بين السورتين متبعين لسنة أسندوها حال كونهم ذوي درية، وهذا ظاهر معنى الألفاظ، وبين أن البسملة بين السورتين لقالون المرموز له بالباء والكسائي المرموز له بالراء وعاصم المرموز له بالنون وابن كثير المرموز له بالدال، وهذا ضرب من ضروب الاستخدام ،وقد أضفى على الأسلوب جمالا ظاهرا.

والاستخدام ضرب من ضروب علم البديع.

ومن ظهور علم البديع في صياغة المسائل العلمية صنيعه في باب مخارج الحروف وصفاتها حيث بدأ بذكر المخارج أولاً دون تعيين حروفها، ثم ثنى بعد ذلك بالحروف مرتبة على ما ذكر من مخارج؛ ثقة بالسامع أن يرد كلاً إلى ما يناسبه مرتباً، وهذا أسلوب اللف والنشر وذلك حين قال في شأن المخارج (١١٣٨):

ثلاث بأقصى الحلق واثنان وسطه وحرفان منها أول الحلق جُمِّلا

إلى قوله (١١٤٧):

ومن باطن السفلى من الشفتين قل وللشفتين اجعل ثلاثا لتعدلا

فذكر المخارج دون ذكر الحروف ،ثم ذكر الحروف في قوله (١١٤٨-١١٥٠)

وفي أول من كلم بيتين جمعها سوى أربع فيهن كلمة اولا
أهاع حشا غاو خلا قارئ كما جرى شرط يسري ضارع لاح نوفلا
رعى طهر دين تمَّه ظلُّ ذي ثنا صفا سجْلُ زهد في وجوه بني مَلا

وهذا أسلوب اللف والنشر وقد أضفى على الأسلوب جمالا ظاهرا. وأسلوب اللف والنشر ضرب من ضروب علم البديع.

وظهر في سياق التعليل إما باستعماله لبيان علل القراءات كما في قوله (٣٦٣):

وكلٌ لدى اسم الله من بعد كسرة يرققهـــا حتـــى يَـــروق مُـــرَتَّلا

حيث استعمل في تعليل الترقيق في لفظ الجلالة المسبوق بكسر أسلوبا يعرف بحسن التعليل بإيراد علة أدبية غير ملحوظة؛ إذ العلة الملحوظة المتبادرة هي التناسب بين الترقيق والكسر لكنه رحمه الله اختار علة أدبية غير ملحوظة ليضفي على التعليل جمالا فوق جماله.

وحسن التعليل ضرب من ضروب علم البديع.

أو بالإشارة إليه وجها بلاغيا لقراءة ما كما في قوله (٥٢٣):

وبالوصـل قـال اعلـمْ مـع الجـزم شـافع .....

حيث أشار إلى الوجه البلاغي في قراءة حمزة والكسائي بهمز الوصل والجزم-على الأمر-في ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ [البقرة:٢٥٩] التي فيها أمر الشخص لنفسه وهو ما يعرف بالتجريد ومعناه هنا أن يجرد من نفسه شخصا آخر فيأمره ،وكم في ذلك من جمال ظاهر فإن أمر المرءِ نفسَه مؤشرٌ على اقتناع أكيد وإيمان راسخ. وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الوجه البلاغي بقوله (شافع) أي أن في القراءة بفعل الأمر اقتضاء أن يكون الواحد شفعا-أي اثنين-.

وظهر في غير سياق المسائل العلمية وتعليلها ومن ذلك قوله في المقدمة (٨٧):

هـو المجتبـى يغـدو عـلى النـاس كلهـم قريبـــا غريبـــا مســـتمالا مـــؤمَّلا

حيث استعمل أسلوب الطباق في قوله (قريبا غريبا) في مدحه لمن استهدى بالله وحده فذكر من صفاته أنه قريب من الناس لتواضعه غريب عنهم لقلة أمثاله، وهما صفتان متضادتان وهذا يعرف بطباق الإيجاب ،وقد كسى الأسلوب رونقا سابغا.

والطباق ضرب من ضروب علم البديع.

وقوله في مقدمة باب الإظهار والإدغام (٢٥٧):

سَأُسْمي وبعد الواو تسمو حروف من تَسَمَّى على سيما تروق مُقَبَّلا

حيث استعمل في بيان منهجه في هذا الباب أسلوب الجناس في قوله (سأسمى) و(تسمو)و(تسمى)و(سيما) فصبغ عرضه لمنهجه بألوان رائقة من البديع. فالجناس ضرب من ضروب علم البديع[1].

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من علم البديع، وكأنه ينبه بذلك إلى ما ينبغي صنيعه من استعمال علم البديع ليزدان به الأسلوب لفظا ومعنى في عموم الخطاب وخصوص عرض المسائل العلمية وعللها لتقع من نفوس المتلقين موقع الإمتاع الآسر.

وكأنه ينبه طلاب علم القراءات أيضا إلى ضرورة تعلم علم البديع لتنجلي لهم أوجه بلاغة القراءات القرآنية.

(١) انظر إبراز المعاني ٢/ ص١٨٩-١٩٠وص٣٦٨،وكنزالمعاني للجعبري ص٣٤٣وص٨٥٥،والعقد النضيد١/ ص٢٩٧-٢٩٨،و٢/ ص١٠٩٦وما بعدها، وانظر الإيضاح للقزويني ص٤٨٠وص٥٠٢-٥٠٣ ، والبلاغة لعمر الكاف ص٤١٢وص٤١٩وص٤٣٤.

المبحث الثالث

(الشعر وأغراضه)

وتحته مطالب:

المطلب الأول: العروض والقافية

اختار الإمام الشاطبي رحمه الله لصياغة منظومته بحر الطويل الذي هو أطول البحور على الإطلاق وهو:

فعـولن مفـاعيلن فعـولن مفـاعيلن فعـولن مفـاعيلن فعـولن مفـاعيلن

وقافية اللام المطلقة (لا).

واختيار بحر الطويل دون الرجز الذي يكثر استعماله في صياغة المسائل العلمية ودون غيره من البحور الأخرى اختيار موفق يمكِّنه من تحقيق ثلاثة أمور هامة قد يغفل عنها كثير ممن ألف نظما وهي:

١- اتساع إطار طرح المسائل العلمية المراد نظمها وهي كثيرة ومتشعبة مع تلافي قدر كبير مما قد يقع من تداخل فيها، الدور الذي ربما قصر عنه غير بحر الطويل.

٢- التمكن من إضفاء اللمسات الأدبية التي لا غنى للغة الشعر عنها ليعمل الشعر عمله من الإبداع والامتاع.

٣- استئناس القارئ بالنظم حفظاً واستذكار لما لبحر الطويل من إيقاع موسيقي أعذب جرساً وأكمل أنسا من بحر الرجز الذي درج عليه كثير ممن ألف نظماً.

واختيار قافية اللام المطلقة اختيار موفق يتناسب مع حال المسائل العلمية المراد نظمها كثرة وتشعبا من وجوه عديدة هي :

١- قافية اللام غزيرة الألفاظ في اللغة العربية فهي تناسب تلك الوفرة المراد عرضها.

٢- القافية المطلقة ملهِمة لطول النفس، الأمر الذي لا غنى لطالب العلم عنه وخاصة طالب علم القراءات.

٣- قافية اللام المطلقة لفظها (لا) وهو لفظ يشعر بالإباء وتلك صفة حري بطلاب العلم التحلي بها فما أكثر العقبات التي تحول دون بلوغ الغايات في طريق طلاب العلم عموما وطلاب علم القراءات خصوصا.

إذن فقد وفق الإمام الشاطبي رحمه الله في انتقاء العروض والقافية وكأنه ينبه بذلك إلى أنه ليس المقصود من النظم مجرد جمع المسائل العلمية ليسهل استحضارها فحسب، بل لابد من العناية بكل ما من شأنه جذب طلاب العلم للإقبال على ذلك النظم.

ولا أحسبني أغربت في كلامي السابق عن العروض والقافية في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله فكثيرا ما ساق النقاد نحوه في تحليل النصوص الشعرية.[1]

المطلب الثاني: الشعر قرضاً

معلوم أن منظومة الإمام الشاطبي منظومة علمية ولكن مع ذلك فقد ظهرت أغراض الشعر فيها في عرض المسائل العلمية وغيرها ، وهذا ما عنيته بقرض الشعر هنا.

ومن ذلك قوله في مدح النبي ﷺ في المقدمة (٢):

وثَنَّيتُ صلى الله ربي على الرضا محمد المهدى إلى الناس مرسلا

وفي الخاتمة (١١٧١-١١٧٢):

(١) انظر نقد الشعر لأبي الفرج بن جعفر ص٢٥،والكافي للتبريزي ص٢٢،ودراسات في النص الشعري لعبده بدوي ص١٢٥وما بعدها.

وبعـــد صـــلاة الله ثـــم ســـلامه عـلى سـيد الخلـق الرضـا مُتَنَخِّـلا

محمـــد المختـــار للمجـــد كعبـــة صـلاة تبـاري الـريح مسـكا ومَنْـدَلا

وقوله في الغزل عند ذكر الحروف التي تدغم في غيرها من المتقاربين (١٣٦-١٣٧):

ومهـما يكونـا كلمتـين فمـدغِمٌ أوائـلَ كِلْـمِ البيـت بعـدُ عـلى الـولا

شـفا لم تضـق نفسـا بهـا رم دوا ضـن ثـوى كـان ذا حسـن سـآى منـه قـد جـلا

حيث جمع هذه الحروف في أوائل كلمات ساقها في غرض غزلي بديع.

وعند ذكر الحروف التي تدغم فيها (إذ وقد وتاء التأنيث وهل وبل)، (٢٥٩) (٢٦٢) (٢٦٦) (٢٧٠):

نعـم إذ تمشـت زينـب صـال دلَّهـا سَـمِيَّ جمـال واصـلا مـن توصـلا

وقـد سـحبت ذيـلا ضـفا ظـلَّ زَرْنَـبٌ جـلتـه صبـاه شائقـا ومعلَّـلا

وأبـدت سـنا ثغـر صَـفَتْ زُرْقُ ظَلْمِـه جمعـن ورودا بـاردا عَطِـر الطِّـلا

ألا بـلْ وهـلْ تـروي ثنـا ظَعْـن زينـب سميـر نواهـا طِلْـحَ ضُرٍّ ومبتـلا

حيث جمع هذه الحروف في أوائل كلمات ساقها في غرض غزلي بديع.

وقوله في الرثاء عند ذكر الحروف التي تدغم فيها الدال في الإدغام الكبير (١٤٤):

وللـدال كلـم تـرب سـهل ذكـا شـذا ضـفا ثَـمَّ زهـد صـدقه ظـاهر جـلا

حيث جمع هذه الحروف في أوائل كلمات ساقها في غرض رثاء رفيع للإمام سهل بن عبد الله التُّستَري[1]، وهو عابد زاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقد

(١) انظر: فتح الوصيد ١/ ص٦٢-٦٥ و٤/ ص١٣٦٧، وكنز المعاني لشعلة ص١٧٣-١٧٥، وص ٣٠٣،

مات سنة ٢٨٣هـ[١].

وغير ذلك مما ظهر في منظومته من أغراض الشعر، وكأنه ينبه بذلك إلى أن الشعر-وإن صيغ للمسائل العلمية- لا ينبغي أن ينفك عن أغراضه المعهودة بالكلية فهي أصل هويته، ومنبع عذوبته.

المطلب الثالث: الشعر استشهاداً

لم يغب جانب الاستشهاد بالشعر في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله مع أن المقام ليس مقامه لا غرضا ولا اتساعا.

فقد ظهر في قوله (٦٧٠-٦٧٤):

وزين في ضم وكسر ورفع قتـ ل أولادهم بالنصب شاميهم تلا
ويخفض عنه الرفع في شركاؤهم وفي مصحف الشامين بالياء مثلا
ومفعوله بين المضافين فاصل ولم يُلْفَ غير الظرف في الشعر فيصلا
كلله در اليوم من لامها فلا تلم من مليمي النحو إلا مجهِّلا

فقوله: (لله در اليوم من لامها) عجز بيت وتمامه:

لَمَّا رأت سَاتِيدْمَا اسْتَعْبَرَتْ لله دَرُّ اليومَ مَنْ لاَمَهَا[٢]

وقد استشهد به على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف ؛ فالتقدير: لله در من لامها اليوم.

وقوله: (زج القلوص أبي مزادة) عجز بيت و تمامه:

وما بعدها.

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ص٣٣٠-٣٣٣.

(٢) بيت من السريع لعمرو بن قميئة، وساتيدما: جبل بالهند واستعبرت: بكت.
انظر: ديوان عمرو بين قميئة ص ١٨٢، والكتاب لسيبويه ١/ ص ١٧٨.

فَزَجَجْتُهَا بِمِزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَة[١]

وقد استشهد به على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول؛ فالتقدير: زج أبي مزادة القلوص ،وقد استشهد به لقراءة ابن عامر ﴿**وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم**﴾ [الأنعام:١٣٧][٢].

وكأنه ينبه بذلك إلى أن فصيح الأبيات أصل من أصول تعليل القراءات لا ينبغي إغفاله أبدا.

(١) بيت من مجزوء الكامل لا يعرف قائله وزججتها: طعنتها بالزج، وهي الحديدة التي في أسفل الرمح، والمزجة: الرمح القصير، والقلوص: الناقة الشابة، أبي مزادة : كنية رجل.
انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ص ٣٥٨، والإنصاف للأنباري وحاشيته الانتصاف لمحمد محيي الدين عبد الحميد ٢/ ص٤٢٧-٤٢٨، وشرح الكتاب لعبد السلام هارون ١/ ص١٧٦.

(٢) انظر: إبراز المعاني ٣/ ص ١٤٦، وما بعدها، وكنز المعاني لشعلة ص٦٦٧ وما بعدها.

المبحث الرابع

(الخط والإنشاء والمحاضرة)

لا يمكن ادعاء ظهور هذه العلوم في منظومة الإمام الشاطبي رحمه الله على النحو المتقدم من ظهور علوم العربية المتقدمة، كما لا يمكن إلغاء ظهور هذه العلوم بالكلية فقد ظهرت بعض ملامحها في منظومته.

فظهرت بعض ملامح علم الخط في اعتماد الإمام الشاطبي لسائر حروف الهجاء -إلا الواو- رموزا للقراء فرادى وجماعات، واعتماده للواو فاصلة بين مسائل القراءات وذلك في قوله (٤٥-٤٦):

جعلت أبا جاد على كل قارئ ... دليلا على المنظوم أوَّلَ أوَّلا

ومن بعد ذكري الحرفَ أسمي رجاله ... متى تنقضي آتيك بالواو فيصلا

وقوله (٤٩-٥٢):

ومنهن للكوفي ثاء مثلث ... وستتهم بالخاء ليس بأغفلا

وذو النقط شين للكسائي وحمزة ... .

وحروف الهجاء أصل علم الخط.

وظهرت بعض ملامح علم الإنشاء في صياغة الإمام الشاطبي للأساليب الفصيحة الراقية المتنوعة بين العلمية والخطابية والأدبية، وهذه الأساليب تعد دروسا لإنشاء الكُتَّاب عامة، وإنشاء الكُتَّاب في الدراسات القرآنية خاصة، وقد سبق مزيد بيان لذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني.

وظهرت بعض ملامح علم المحاضرة كذلك كما في قوله (٩٠):

وقد قيل كن كالكلب يقصيه أهله ... وما يأتلي في نصحهم متبذِّلا

حيث أشار في هذا البيت إلى قصة وصية راهب لرجل بقوله: «انصح لله حتى

تكون كنصح الكلب لأهله، فإنهم يجوعونه ويضربونه ويأبى إلا أن يحيط بهم نصحا»[1]، تنبيهاً منه على العمل بهذه الوصية الواردة في هذه القصة ونصح الآخرين بها.

(١) انظر: كنز المعاني لشعلةص٦١وما بعدها، وسراج القارئ لابن القاصح ص٢٥.

الخاتمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحمد لله على ما وفق وأعان من إتمام هذا البحث وأسأله تعالى أن يجعله مباركا نافعا متقبلا، وبعد:

فأهم ما ظهر لي من هذا البحث ما يلي:

- أن علوم العربية قد ظهرت في منظومة الشاطبية ظهورا جليا متسقا متميزا ملائما لمقام عرض قراءات القرآن الكريم ذلك المقام الرفيع العظيم؛

- فظهرت في اعتماد الناظم لها أصلا من أصول منهجه حيث ينبغي اعتمادها (في النحو والصرف والاشتقاق واللغة).

- وظهرت في جانب طرْدِ أصول القراءات حيث يستقيم اطرادها (في النحو والصرف والاشتقاق واللغة).

- وظهرت في إيراد علل أحكام القراءات حيث يحسن إيرادها (في النحو والصرف والاشتقاق واللغة والشعر باعتمادها أصولا من أصول الاحتجاج للقراءات، وفي البلاغة بعلومها الثلاثة-البيان والمعاني والبديع- إما باستعمالها لبيان علل القراءات أو بالإشارة إلى الوجه البلاغي فيها).

- وظهرت في دقة الإعداد **باختيار العروض** والقافية للقصيد حيث يتأكد إعدادها.

- وظهرت في إنشاد الصياغة الفصيحة البليغة –بيانا ومعانى وبديعا- حيث يروق إنشادها.

- بل لم تختف علوم العربية الأخرى التي لا صلة لها بالقراءات فأبت هذه المنظومة المباركة إلا أن تبدي لنا بعض ملامحها -أعني علم الخط والإنشاء

والمحاضرة- .

- أن في ظهور هذه العلوم في الشاطبية بهذه الوفرة وهذا التنوع دليلا قاطعا على قوة العلاقة بين علم القراءات وعلوم اللغة العربية في الجوهر والمظهر.
- أن في ظهور هذه العلوم في الشاطبية في جانبي التأصيل والتعليل للقراءات القرآنية تنبيها لطلاب علم القراءات على ضرورة الإقبال على علوم العربية وتعلمها إذ لا غنى لهم عنها إن أرادوا فهم علم القراءات على نحو عميق ونمط دقيق.
- أن في ظهور الأساليب اللغوية الفصيحة البليغة في الشاطبية تنبيها لكل من يتكلم تدريسا أو تأليفا في علوم القرآن -النازل بلسان عربي مبين، المعجز بفصاحته وبلاغته العالمين- أن يكون كلامهم على أتم ما يمكن من الفصاحة وأعلى ما يتسنى من البلاغة.

هذا والحمد لله أولاً وآخرًا وباطنًا وظاهرًا.

فهرس المراجع والمصادر

- **إبراز المعاني من حرز الأماني**، لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم-أبو شامة- تحقيق الشيخ محمود عبد الخالق جادو، الجامعة الإسلامية، (١٤١٣).
- **إرشاد المريد إلى مقصود القصيد**، لعلي بن محمد الضباع، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- **أسس اللغة العربية لطلاب الجامعات**، للدكتور محمود سليمان ياقوت، دار ابن حزم، الطبعة الأولى.
- **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين**، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت. الطبعة الأولى.
- **الإيضاح في علوم البلاغة** للخطيب محمد بن سعد الدين القزويني. دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة السادسة.
- **البلاغة**، لعمر بن علوي الكاف، دار المنهاج، جدة، الطبعة الثالثة.
- **تقريب المعاني في شرح حرز الأماني**، للشيخين سيد لاشين وخالد الحافظ، دار الزمان، المدينة المنورة، الطبعة السابعة.
- **جواهر البلاغة**، للسيد أحمد الهاشمي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
- **الجوهر النضيد في شرح القصيد**، لأبي بكر بن إيدغدي -ابن الجندي-، تحقيق: د.محمد محفوظ الشنقيطي، ود.عبد الله برناوي، الجامعة الإسلامية، (١٤٣٢).
- **حاشية السجاعي على قطر الندى وبل الصدى لابن هشام**، لأحمد بن أحمد السجاعي الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده (مصر).
- **دراسات في النص الشعري** للدكتور عبده بدوي، مطابع الفيصل التجارية، الطبعة الأولى.
- **دلائل الإعجاز** لعبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني. مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- **ديوان عمرو بن قميئة**، تحقيق: وشرح حسن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات

العربي، القاهرة، (١٣٨٥).

- **سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي**، لعلي بن عثمان بن محمد-ابن القاصح- مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة.
- **سير أعلام النبلاء**، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى.
- **شرح الشاطبية**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د.خلف الشغدلي، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٧).
- **شرح عقود الجمان في المعاني والبيان**، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د.إبراهيم الحمداني ،ود. أمين الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- الصحاح في اللغة والعلوم للعلامة الجوهري، إعداد نديم مرعشيلي، وأسامة مرعشيلي، دار الحضارة العربية بيروت، الطبعة الأولى.
- **العقد النضيد في شرح القصيد**، لأحمد بن يوسف بن محمد-السمين الحلبي- تحقيق: د.أيمن سويد، دار نور المكتبات، جدة، الطبعة الأولى.
- **علم المعاني البيان البديع**، للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت.
- **فتح الوصيد في شرح القصيد**، لعلم الدين علي بن محمد السخاوي، تحقيق: مولاي الإدريسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى.
- **الكافي في العروض والقوافي**، للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- **الكتاب**، لسيبويه أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تحقيق: وشرح عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت. الطبعة الأولى.
- **كنز المعاني شرح حرز الأماني**، لمحمد بن أحمد الموصلي-شعلة-، تحقيق: د.عبد الرحيم الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٨).
- **كنز المعاني في شرح حرز الأماني**، لإبراهيم بن عمر الجعبري، تحقيق: الشيخ يوسف محمد

شفيع،(١٤٢٠) وتحقيق الدكتور أحمد سليماني(١٤٣١) الجامعة الإسلامية،

- **مبرز المعاني في شرح قصيدة حرز الأماني ووجه التهاني**، لمحمد بن عمر العمادي، تحقيق: د. سامي عبد الشكور، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٧).
- **معاني القرآن**، ليحي بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، (١٩٨٠).
- **مفتاح العلوم**، ليوسف بن محمد السكاكي، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- **المفيد في شرح القصيد**، للقاسم بن أحمد اللورقي، تحقيق: د.عبد الحميد الصاعدي، الجامعة الإسلامية، (١٤٢٧).
- **نقد الشعر** لأبي الفرج قدامة بن جعفر تحقيق كمال مصطفى،مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الثالثة.
- **الوافي في شرح الشاطبية**، لعبد الفتاح بن عبد الغني القاضي، معهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الأولى.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٦٥
المقدمة	١٦٦
أهمية الموضوع وسبب اختياره	١٦٦
خطة البحث	١٦٧
منهج البحث	١٦٨
التمهيد	١٦٩
المبحث الأول (النحو والصرف والاشتقاق واللغة)	١٧٠
المطلب الأول: النحو	١٧٠
المطلب الثاني: الصرف	١٧٣
المطلب الثالث: الاشتقاق	١٧٥
المطلب الرابع: اللغة	١٧٧
المبحث الثاني: (الفصاحة والبلاغة)	**١٨٠**
المطلب الأول: فصاحة الأسلوب وتنوعه	١٨٠
المطلب الثاني: علم البيان	١٨٢
المطلب الثالث: علم المعاني	١٨٥
المطلب الرابع: علم البديع	١٨٧
المبحث الثالث: (الشعر وأغراضه)	١٩١
المطلب الأول: العروض والقافية	١٩١
المطلب الثاني: الشعر قرضا	١٩٢
المطلب الثالث: الشعر استشهادا	١٩٤

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: الخط والإنشاء والمحاضرة	١٩٦
الخاتمة	١٩٨
فهرس المراجع والمصادر	٢٠٠
فهرس الموضوعات	٢٠٣